

سلسلة الزرقاوي كما عرفته

الحلقة الأخيرة بعنوان: (ج ٢)



من ذخاير التاريخ

مستقاة من
تجربة أمير

"تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"

الشيخ

مصطفى الزرقاوي

رحمه الله

صاغها
"ميسرة الغريب"

مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي

من خفايا التاريخ

مستقاة من تجربة أمير

"تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"

الشيخ

"أبي مصعب الزرقاوي"

رحمه الله

قصص وعبر * أقوال وأفعال * أفكار وتحليلات

الحلقة الأخيرة بعنوان: "الزرقاوي كما عرفته" (ج2)

صاغها الشيخ : ميسرة الغريب

عضو اللجنة الشرعية

بـ "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"

— سابقاً —

التاريخ في صدره *** أضاف أعماراً إلى

عُمُرُه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه الكرام، ثم أما بعد:

فتتابع في سلسلة الخواطر والذكريات:

5 في أول رمضان قبل ثلاث سنوات كان الشيخ رحمه الله مُلْتَهَباً شوقاً لإعلان نبأ انضمامه إلى "القاعدة" الكبرى، إلى حبيبه وأميره شيخ المجاهدين "أسامة بن لادن"، ولم أره حريصاً على شيء كحرصه ذاك، ولا أزال أذكر حين دخل بثوبه الأبيض الجميل يسألني عن صياغة البيان الذي أملى عليّ هو من قبلُ خطوطه العريضة، وما أن جَهَّزْتُهُ حتى جلسنا في مجلس شورى كان منهم "أبو عزام" رحمه الله، و"أبو سفيان" أمير بغداد وقتها، ثم توجّه ساعي البريد لرفع نبأ الإعلان، وكَبُرَ إخوة السلاح في الفلوجة ابتهاجاً؛ لقد كان خبراً مفاجئاً للغاية، رغم أن إرهاباته كانت من قبل.

– قلت في نفسي: مثلك فلتكن الرجال، وتذكّرتُ حين سئل أحد تلاميذ مالك عن سبب بقاء موطأ مالك واشتهاره دون غيره من الموطآت فقال: "ما كان لله بقي"، نحسبه والله حسيبه.

– ولو لم تكن لشيخنا مُحَمَّدَة تُذَكَّرُ إلا هذه لكَفَتْهُ فخراً، وهو الذي تَأَلَّقَتْ وقتها جماعته، وعلا اسمه، وراج شأنه فصبَّ كلُّ هذا في فم إعلاء كلمة الله بالوحدانية والجماعة؛ لتقوى الشوكة وتعلو الراية أكثر وأكثر؛ اعترافاً منه لأهل الفضل بالفضل، ولا يعرف الفضل لأهله إلا أهل الفضل.

6 كان شيخنا الزرقاوي رحمه الله يُحِبُّ شيخه "أبا عبد المهاجر" -فك الله أسرته- ويُبْجِلُهُ ويُبْنِي عليه ويؤدُّ لو يأتي إلى العراق، وكانت قرائنُ الحال تُدَلُّ أنه لو أتى لأوكل إليه مسؤولية الهيئة الشرعية، وكان شيخنا يحثني على تدريس الطلبة كتاب الشيخ المهاجر "أعلام السنة المنشورة في معالم الطائفة المنصورة" وكنا صورناه، وبدأتُ تدريسَه للإخوة، هذا فضلاً عن كتاب "فقه الدماء" الذي كنا ننتظر وصوله إلى الفلوجة وقتها ولم يصل إلى أن بدأتُ معركة الفلوجة الثانية، وكان الشيخ ذكر لي أنه دَرَسَهُ عند الشيخ "المهاجر" أربع سنوات إن لم تخني ذاكرتي... ثم دارت الأيام ودخل الكتاب إلى العراق بعد أحداث الفلوجة الثانية وطُبِعَتْ منه نسخٌ كثيرة جداً، تحت اسم "مسائل من فقه الجهاد"، وهو كتابٌ جيد قوي، جدير أن يلخّص منه ويُدرَّس للإخوة المجاهدين.

الأخ المائدة يعتني بهم، ويرفق بحالهم فيشدُّ هذا من عزيمتهم ويشعرهم بدفء الأخوة في مثل هذه الأجواء الحساسة، وبنحو هذا الفاكهة - إن وجدت - قد يقطعها قسمين بينك وبينه.

- ومعروف أن الشيخ رحمه الله كان يحب الجبن المعروف بـ "الكرافت" إلا أنني سمعت من أحد مرافقيه أنه ذات مرة أحضره له فنهاهم عن إحضاره ثانية حتى يأكله كل الجنود.

- وكنت قبيل الفلوجة الثانية رأيت أحد الأمراء قد حار في أمره كيف يوزع كمية بسيطة من "الزيت والزعتر" على الجنود في "حي الشهداء"، فاستفسرته عن قصة هذا "الزيت والزعتر" فبين لي أن الشيخ رفض أن يأكل منه حتى يأكل منه الجنود، ولهذا "الزيت والزعتر" قصة وهي أن الشيخ "أبا أنس" رحمه الله كان مُعَرِّماً به حتى أنه أوصى بإحضار شيء منه من بلده "الأردن" فوصل "الزيت والزعتر" بعد مقتل رحمه الله، و"الزيت والزعتر" له مكانة خاصة عند إخواننا الشاميين من بين الأطعمة.

8) وكان إذا أرسل رسالة يقول عن نفسه مخاطباً لي في آخرها: أخوك الصغير يعني نفسه... مع أنه أكبر مني سناً وقدرًا، ولم يكن تواضعه من النوع الديكوري، ولكنه من قلب صادق فيما يبدو، ولم يكن يتشعّب بما لم يُعط؛ ففي أول جلسة ثنائية للنظر في صياغة أول بيان شاركت فيه كان إذا أراد تغيير كلمة أو جملة أو إضافة أو إنقاصاً تراه يخاطبني بأدب جَمٍّ ومن باب المشاورة...

9) وبينما كنا نقرأ معاً أحد البيانات لضبطه وتصحيحه خرجت معنا كلمة "منعرج" وقد ضَبَطْتُ راءها بالفتح، [دعيني أُحدِّثُكُ بأمرنا ونحن في مُنْعَرَجِ اللَّوَى]، فقال: "هذه أكيد خطأ وهي بالكسر" ثم أعقبها مباشرة بقوله مخاطباً لي: "أصابت امرأة وأخطأ عمر" فقلت له: أراجعها.

وكان رحمه الله قد اعتمد في ضبطه هذا على تأكيد أحد طلبة العلم له أنها بالكسر - وقد سماه لي -، ثم راجعتها في "مختار الصحاح" فذكر أنها بفتح الراء، فالحمد لله على التوفيق.

فتأمل أخي القارئ هذا التواضع الفريد، والمداعبة اللطيفة لإخوانه، أين منها أولئك الذين يظنون شيخنا جهوماً عبوساً عاشقاً للدماء كيفما كانت؟

10) ولا أزال أذكر حين استفتى أحدُ أمراء المفاوز في واقعةٍ تعرضهم وهي أنه قد يأتي رجل مستحق للقتل شرعاً بسيارة وهو محمّل بالبضائع ولكن معه طفل صغير - كأنه ولده - فإن لم يقتلوا الطفل فربما يُخبر عنهم العدو المحتلّ ويدلّ على المكان، وإن قتلوه مع أبيه نَجَحَتِ المهمة، ونقلْتُ الأمرَ لشيخنا فسارع بمنع هذا العمل متنازلاً عن هذه الغنيمة كلها لئلا يُقتل الطفل.

11) حدثني سائقه ورفيقه "عبد الرحمن البصراوي" أن الشيخ في أحد أيام رمضان منذ ثلاث سنوات كان يتجول في السيارة لتفقد أحوال رعيته فلمح رجلين لا يعرفهما على قارعة الطريق وقد اقترب موعد الغروب فتزل وأفطر معهما، ولم يجد في هذا حرجاً، وهما لا يعرفانه.

12) وعلى إحدى سيطرات الإخوة مرت سيارة الشيخ فأوقفه المسؤول عن السيطرة وهو لا يعرف الشيخ، وأنزله من السيارة وسأله أسئلة، والشيخ مطواع له في كل هذا، وبعد أن مشى الشيخ عرف المسؤول عن السيطرة أن الذي كان يسأله هو الشيخ رحمه الله فحجل. -حدثني بها سائقه البصراوي كذلك-

13) كنت في جلسة معه والشباب يطلبون منه شريطاً كل مدة ليشد العزيمة وينعش الروح وهو يعتذر ويدهم على أشرطةٍ لغيره ثم قال بالحرف: "ما كنت يوماً أتوقع أن يحتاج الإخوة أشرطةً مني"! كان يرى نفسه دون أن يعط هو غيره بأشرطة... أسأل الله أن يأجره.

14) وما كنت لأنسى يوم أن تبين له من كلامي معه أنه سرد في كتيب (واعتصموا) حديثاً بلفظ لم أراه في الروايات -قبيل معركة الفلوجة الثانية- فسارع وقال: نبه الشباب واشطب عليها... لا أنسى عينيه اللتين اقترب جفناهما من بعضهما وحرك رأسه وتكلم بصوت خافت متوشح بالخوف من التقول على رسول الله: [هذا دين يا أخي، صححه]، وكان من رغبات الشيخ أن أعيد تنقيح الكتاب وتخريج أحاديثه، وقد تيسر لي جزء جيد من هذه الرغبة منذ شهرين والله الحمد، وتم توزيعه على الولايات ليدخل ضمن المقرر الدراسي، ومن فضل الله أنه تيسرت لي فيما بعد مراجعٌ أوسع وثبتت من رواية الحديث التي أثبتتها شيخنا فرأيتها واردة في كتب الحديث، فالحمد لله أولاً وآخراً.

15) وفي أوائل مرافقتي للشيخ رحمه الله دخل شابُّ أردني يدعى "أبا عبد الله" من جديد إلى العراق، وكان شديد الحرص على مرافقة الشيخ كحارس شخصي، وعرفت أنه كان يعرف الشيخ من أيام أفغانستان، لكنَّ حرصه المتميز لفت نظري فسألته عن سر هذا الحرص، وعجيب هذه الحبة للشيخ رحمه الله، فذكر لي السر المؤثر وكان مما ذكره: أنه قبل أن يدخل في جماعة الشيخ أراد أن يختبر نفسية الشيخ فقال له وهم قرييون من الخلاء: "بالله بريقك¹، املاً الإبريق رايح ورايح"، فقلت له: وماذا فعل الشيخ؟ -وهو أمير جماعة هناك في أفغانستان ويخاطبه أحدهم بهذه الطريقة المستفزة- فقال الشاب: ما كان من الشيخ إلا أن أخذه وملاه بكل تواضع دون أي تعقيب، وعندها قال الأخ في نفسه: هذا يستأهل أن أنضم إلى جماعته.

فسبحان الله ما أطفه وأعظم تواضعه وهضمه لنفسه أمام إخوانه.

وأما ذاك الأخ فقد لقي ربه في غزوة أبي غريب التي قُتل فيها الشيخ أبو أنس الشامي، وكان قبيل خروجه إلى المعركة أوصاني إن حصل له شيء أن أكتب وصية لأهله وزوجته وأرسلها؛ لكنني غفر الله لي انشغلت كثيراً حتى

¹ - أي إبريق الماء، فالأخ كان يخاطبه بالعامية.

أتت أحداث الفلوجة الثانية وضاع جهازي مني، هذا فضلاً عن أني لا أملك عنوان أهله، لقد طار فرحاً حين علم أن زوجته تحمل مولوداً، وكان رحمه الله حديث عهد بزواج.

16) ومرةً كنت أتصفح "فلاشاً" فوق نظره على مقالات للشيخ علي الطنطاوي² الكاتب المعروف، فطلب مني أن أنزلها له على جهازه وأن لا أضنَّ عليه بأي شيء ينفع، فقلت في نفسي: سبحان الله رغم اختلافه مع الطنطاوي في المنهج إلا أن هذا لم يمنعه من الاستفادة مما برع فيه الطنطاوي من أسلوب في الكتابة، وكم يشبه هذا استفادة علمائنا القدامى من الزمخشري رغم اعتزاله، والحكمة ضالة المؤمن... وهذا هو الإنصاف.

17) نتابع في الجزء الثالث إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم.

ظهر الجمعة/16/ رمضان/1428هـ

الموافق لـ 28/9/2007 م

لا تنسونا من الدعاء

إخوانكم في

مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي

المصدر: (مركز الفجر للإعلام)



² - هذا الطنطاوي توفي، وهو غير المفتي المصري المنحرف الحالي.